الاستعداد للموت وسؤال القبر

زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري

تحقيق وتصحيح

سعد كريم الدرعمي





الاستعداد للموت وسؤال القبر

زين الدين بن على بن أحمد المعبرى المليبارى

تحقيق وتصحيح
سعد كريم الدرعى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ابن عبد الله النبى الأمى الأمين بعثه الله مناراً للسائرين وهاديا للحائرين فاجعله اللهم شفيعنا يوم الدين وبعد إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

أما بعد .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾« لقمان آية ٣٣ » .

وقال تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ وقال أيضاً ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

إن الطبيب بطبه ودوائه
لا يستطيع دفاع نحب قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذى
قد كان أبرأ مثله فيما مضى

مات المداوِي والمداوَى والذى
جلب الدواء أو باعه ومن اشترى

ولذلك أيها الأعزاء إذا كان الموت مصير كل حى فلابد من الاستعداد له ولا بد من إحداث توبة صادقة قبل الموت وصدق النية فيها .

أفر إليك منك وأين إلا
إليك يفر منك المستجير

أنا العبد المقر بكل ذنب
وأنت المولى السيد الغفور

فـــإن عـــــذبتنـــى فبســـوء فعلـــــى
وإن تغفــــر فأنــــت بــــه جديــــر

ولا شك أنه لابد من حسن الظن بالله تبارك وتعالى لأن الله تبارك وتعالى عند ظن عبده به كما أخبر عن ذلك فى الحديث الصحيح .

ثم أما وبعد

فإن هذا الكتاب (الاستعداد للموت وسؤال القبر) قد حوى فى صفحاته درراً ثمينة تخص كل إنسان زاهد تقى ورع يخشى الله تبارك وتعالى ويخاف عذابه فتضمن التحذير من الدنيا وعدم الاغترار بها ووجوب الاستعداد للموت إلى أن وصل إلى مرور الناس على الصراط وخلود المؤمنين فى الجنة وخلود الكافرين فى النار . نعوذ بالله تبارك وتعالى من سوء العاقبة .

المصنف .

هو زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن على بن أحمد المعبرى المليبارى من أهل مليبار بلدة فى وسط الهند تميز بأنه فقيه عابد زاهد ورع شافعي المذهب .

مصنفاته :

له مصنفات عديدة فى كثير من المجالات الفقهية منها : فتح العين بشرح قرة العين ، وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد ، والاستعداد للموت الذى هو بين أيدينا الآن وغيرها كثير .

توفي المليبارى رحمه الله تعالى سنة ٩٨٧ هجرية انظر الاعلام للزركلى ٦٤/٣

نسأل الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما فيه إنه على كل شيء قدير ، وبالاجابة بصير إنه نعم المولى ونعم النصير
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب
سعد كريم الدرعمى
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك ، ونصلى ونسلم على محمد رسولك وعبدك ، وعلى آله وأصحابه الموفين بعهدك .

وبعد : فهذا مختصر ضمنت فيه بعض أحاديث ذكر الموت وما بعده فى فصول متوسطات ، بدأت أحاديث كل فصل بما يناسبها من آيات وأردفتها بآثار ومواعظ زاجرات عسى الله أن ينفعنى به وأحبابى والمسلمين والمسلمات .

المؤلف

زين الدين بن على المعبرى المليبارى

التحذير من الاغترار بالدنيا

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] .

وفى كتاب الترمذى[٢] قال النبى ﷺ : « أكثروا ذكر هازم اللذات الموت »

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال : « ما حق امرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبه عنده » وفى روايه مسلم : « يبيت ثلاث ليال » قال ابن عمر رضى الله عنهما ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندى وصيتى .

وفى صحيح البخارى[٣] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أخذ رسول الله بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور » أى لا تركنن إليها ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالإعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه. لا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

وقال رسول الله ﷺ : « اثنتان يكرهما ابن آدم يكره الموت والموت خير

---

(١) سورة المنافقون الآيات ٩ - ١١ .

(٢) هو أبو عيسى محمد بن ثورة الترمذى نسبة إلى ترمذ إحدى بلاد ما وراء نهر جيحون ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفى سنة ٢٧٩ هـ له السنن المشهورة ألفه فى أحاديث الأحكام .

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى أبو عبد الله إمام الدنيا ، جبل الحفظ ثقه الحديث من الطبقة الحادية عشرة . توفى سنة ٢٥٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩ / ٤٧ .

للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب » .

وقال حاتم الأصم : لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل .

وقيل للحسن[1] ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك .

إعلم أنه يسن لكل واحد من المكلفين إكثار ذكر الموت وينبغي أن يستعد له بالتوبة إلى الله تعالى ورد المظالم والمريض أكد لأنه يرق به قلبه ويخاف فيرجع عن المظالم ويقبل على الطاعات .

واعلم أن بنى آدم طائفتان طائفة نظروا إلى شاهد خيال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا فى النفس الأخير ، وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا ماذا يكون مصيرهم ، وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم وما الذى ينزل معهم من الدنيا فى قبورهم وما الذى يتركونه لأعدائهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق وهى على الملوك وأهل الدنيا أوجب لأنهم كثيرا ما أزعجوا قلوب الخلق وأدخلوا فى قلوبهم الرعب فإن الحق تعالى ذكره ملاكا يعرف بملك الموت لا مهرب لأحد من مطالبته ونشبته وكل موكلى الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما ، وهذا الوكيل لا يأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلى السلاطين تنفع الشفاعة وهذا الموكل لا تنفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفساً واحداً .

ويروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ما جمعه ، فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا ساميا يصلح للملوك والامراء والأكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والأجلاد والحرسة

---

(١) هو الحسن البصرى بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد . ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب . مات سنة ١١٠ هـ وله تسع وثمانين سنة . انظر المشاهير / ٨٨ .

والأجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده ، وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن أفرغى لذلك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل ، والحظ الجزيل ، فلم يفرغ مما حدث نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقه ومخلاته فى عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضيف ما هذا الحرص وسوء الأدب اصبر إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل ، فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج إلى فلي إليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا له تنح أيها الضيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك ، فقال : أنتم عرفوه ما ذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقته الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال : الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت وطاشت حلومهم وارتعدت فرائضهم وبطلت عن الحركة فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا منى وعوضاً عنى فقال ما آخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التى جمعتها والأموال التى احتويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذى غرنى وأبعدنى ومنعنى من عبادة ربى وكنت أظن أنه ينفعنى فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لأعدائى فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأى سبب تلعننى العن نفسك فإن الله تعالى خلقنى وإياك من تراب وجعلنى فى يدك لتتزود بى إلى آخرتك وتتصدق بى على الفقراء وتزكى بى على الضعفاء ولتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عوناً لك فى اليوم الآخر جمعتنى وخزنتنى وفى هواك أنفقتنى ولم تشكر حقى بل كفرتنى فالآن تركتنى لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأى ذنب لى فتسبنى وتلعننى ، ثم إن ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط على سريره صريع الحمام :

* * *

تجهز إلى الأجداث[1] ويحك والرمس[2] جهازا من التقوى لأطول ما حبس
فإنك لا تدرى إذا كنت مصبحاً بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي
سأتعب نفسي كي أصادف راحة فإن هوان النفس أكرم للنفس
وأزهد في الدنيا فإن مقيمها كظاعنها[3] ما أشبه اليوم بالأمس

❁ ❁ ❁

(١) الأجداث : أى القبور .
(٢) الرمس : أى الدفن .
(٣) أى الراحل عنها والمفارق لها .

الاستعداد لنزول الموت

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[1] إلى آخر السورة .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى ﷺ غرز عوداً بين يديه وآخر الى جنبه وآخر أبعد منه فقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « هذا الانسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » وكتب الإمام أبو حامد الغزالى [2] إلى الشيخ أبى الفتح بن سلامة « قرع سمعى بأنك تلتمس منى كلاما وجيزا فى معرض النصح والوعظ وأنى لست أرى نفسى أهلا له فان الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم . الظل والعود أعوج » .

وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليهما السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى ، وقال نبينا ﷺ : « تركت فيكم ناطقا وصامتا » فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره ، ولقد وعظت نفسى بهما وقبلت وصدقت قولا وعلما وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا فقلت لنفسى أما أنت مصدقة

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٩٩ : ١٠١ .

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى . ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ وتوفى سنة ٥٠٥ هـ فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف كإحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة المنقذ من الضلال وأسرار الصلاة وغيرها . انظر شذرات الذهب ٤ / ١٠ .

بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت : بلى فقلت لها قد قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها ، أفكان النصرانى عندك أصدق من الله تعالى فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

وقلت لها هبي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعاً عليك ما أنت متمسكة به وسالباً منك كل ما أنت راغبة فيه وأن كل ما هو آت قريب وأن بعيد ما ليس بآت .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾[3] .

فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولاً لا يحصل وراءه ولم تجتهد قط فى تزود الآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجلة ولم تجتهد فى رضى الله تعالى كاجتهادها فى طلب رضاها وطلب

---

(١) سورة هود الآيات ١٥ : ١٦ .

(٢) سورة الجمعة الآية ٨ .

(٣) سورة الشعراء الآيات ٢٠٥ – ٢٠٧ . أفرأيت أى أخبرنى ، ما أغنى عنهم: أى شىء اغنى عنهم لم يغنى .

رضى الخلق ولم تستحى من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها فى الصيف لأجل الشتاء وفى الشتاء لأجل الصيف فإنها لا تطمئن فى أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن تختطف منها ، فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذى لا يرخص فى تركه إلا الحمق ثم استمرت على سجيتها ووجدتنى كما قال بعض الحكماء فى الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر وما أرانى إلا منهم ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فإن ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشى عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص نفسى وإياك بالحذر منه هو الداء العظيم وهو السبب الداعى إلى الغرور والإهمال وهو اعتقاد تراخى الموت واستعباد هجومه على القرب فإنه لو أخبر صادق فى بياض نهاره أنه يموت فى ليلة أو يموت إلى إسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لى تحقيقا أن من أصبح وهو يومل أنه يمسى أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر إلا على سير ضعيف .

فأوصيك ونفسى بما أوصى به رسول الله ﷺ حيث قال : « صل صلاة مودع » ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به ومن غلب على ظنه فى كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله وغفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلا يزال فى غفله دائمه وفتور مستمر وتسويف متتابع إلى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقنى هذه الرتبة فإنى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى من نفسه إلا

بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فإن خداعها لا يقف عليه إلا الأكياس وقليل ما هم والوصايا وإن كانت كثيرة والمذكورات وإن كانت كبيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأجمعها وقد قال الله عز وجل في محكم القرآن : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[1] .

فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها وقال يزيد الرقاشي كان في بني إسرائيل جبار من الجبابرة وكان في بعض الأيام جالساً على سرير مملكته فرأى رجلاً قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه وهيئته وقدومه فوثب في وجهه وقال له : « من أنت أيها الرجل ومن أذن لك في الدخول إلى داري فقال أذن لي صاحب الدار وأنا الذي لا يحجبني حاجب ولا أحتاج في دخولي على الملوك إلى إذن ولا أرهب سياسة السلطان ولا يفزعني جبار ولا لأحد من قبضتي فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه[2] ووقعت الرعدة في جسده وقال : أنت ملك الموت قال : نعم قال أقسم عليك بالله إلا أمهلتني يوماً واحداً لأتوب من ذنبي وأطلب العذر من ربي وأرد الأموال التي أودعتها خزائني إلى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابها ، فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأوقاتها مثبتة مكتوبة فقال أمهلني ساعة ، فقال إن الساعات في الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد ، فقال من يكون عندي إذا نقلتني إلى لحدي فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال ما لي عمل ؟ فقال لا جرم يكون مقيلك في النار ومصيرك إلى غضب الجبار » وقبض روحه ، فخر عن سريره وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو علموا ما يصير إليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر .

---

(١) سورة النساء آية ١٣١ .

(٢) أي أغشي عليه .

ذم طول الأمل

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1] .

وعن أبى كعب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : كان يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول « ما يدريني لعلى لا أبلغه » ، وعن أنس قال النبى ﷺ : « **يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر** » وقال رسول الله ﷺ : «مثل ابن آدم إلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم » . وروى أن الحسن قيل له أن فلانا مات بغته فقال ما يعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات . قال الغزالى رحمة الله عليه « **عليك أن تجتنب طول أملك فإنه إذا طال هاج أربعة أشياء : الأول** : ترك الطاعة والكسل فيها يقول سوف أفعل والأيام بين يدى .

والثانى : ترك التوبة وتسويفها يقول سوف أتوب وفى الأيام سعة وأنا شاب وسنى قليل والتوبة بين يدى وأنا قادر عليها متى رمتها وربما اغتاله الحمام على الإصرار واختطف الأجل قبل صلاح العمل . **والثالث** : الحرص على جمع الأموال والاشتغال بالدنيا عن الآخرة يقول أخاف الفقر فى الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولا بد لى من شىء فاضل أدخره لمرض أو هرم أو فقر هذا ونحوه يحرك إلى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول إيش آكل وإيش ألبس هذا الشتاء وهذا الصيف ومالى شىء ، ولعل العمر يطول فأحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد لى من قوت وغنية عن الناس وهذه

---

(١) سورة الحديد آية ١٦ . يأن : يحن ، تخشع : ترق وتلين .

وأمثالها تحرك إلى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها . والرابع القسوة فى القلب والنسيان للآخرة لأنك إذا أملت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر » .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه « أخوف ما أخاف عليكم اثنان : طول الأمل واتباع الهوى ألا إن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصدك عن الحق فإذن يصير فكرك فى حديث الدنيا وأسباب العيش فى صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب فبسبب طول الأمل تقل الطاعة وتتأخر التوبة وتكثر المعصية ويشتد الحرص ويقسو القلب وتعظم الغفلة فتذهب والعياذ بالله إن لم يحرم الله فأى حال أسوأ من هذه وأى آفة أعظم من هذه ، وإنما رقة القلب وصفوته بذكر الموت ومفاجأته والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة » .

ويروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيئا من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على باب دورهم فى كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها ويزورونها ويتعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام إلا الحشيش ونبات الارض ، فبعث إليهم ذو القرنين رجلا يستدعى ملكهم فلم يجبه ، وقال ما لى إليه حاجة فجاء ذو القرنين إليه وقال كيف حالكم فأنى لا أرى لكم شيئاً من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئاً من نعم الدنيا فقال نعم لأن الدنيا لا يشبع منها أحد قط فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فبالنظر إليها يتجدد ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تأكلون الحشيش فقال لأنا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان ولأن لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ، ثم مد يده إلى طاقة فأخرج منها قحف رأس آدمى فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم من كان هذا ، فقال : لا ، قال : كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مد يده ووضع قحفاً آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا ! فقال : لا ، فقال : كان هذا ملكاً عادلا مشفقاً على رعيته محباً لأهل مملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته ، ثم وضع يده على رأس ذى القرنين وقال

ترى أى هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاء شديداً وضمه إلى صدره وقال له إن أنت رغبت فى صحبتى فإننى أسلم إليك وزارتى وأقاسمك مملكتى فقال هيهات ما لى فى ذلك رغبة فقال لم قال لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة [1] ولله در القائل :

دليلك أن الفقر خير من الغنى ... وأن قليل المال خير من المثرى[2]

لقاؤك عبداً قد عصى الله بالغنى ... ولم تلق عبداً قد عصى الله بالفقر

* * *

---

(١) الصعلكة : أى الفقر وقلة ذات اليد .

(٢) المثرى : أى الغنى وصاحب الثراء الكثير .

قصر الأمل

اعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الأكباب عليها غير متيسر إذا كان مملوءاً بشيء لا يكون لشيء آخر محل فيه ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الآخرى وكالمشرق والمغرب بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد من الآخر .

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل

النساء » ، وقال النبى ﷺ : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينة » ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » فقال رجل يا رسول الله أو يأتى الخير بالشر فسكت النبى حتى ظننا أنه ينزل عليه قال فمسح عنه الرحضاء [٣] وقال «أين السائل » وكأنه حمده ، وقال « إنه لا يأتى الخير بالشر وأن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا أكله الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا بشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » يعنى مثال كثرة المال كمثال ما

---

(١) سورة الإسراء آية ١٨ .

يصلاها : يدخلها . مدحوراً : مطروداً مبعداً من رحمة الله .

(٢) سورة لقمان آية ٣٣ .

(٣) الرحضاء : أى العرق الكثير .

ينبت فى فصل الربيع فإن بعض النبات حلوة فى فم الدابة وهى حريصة على أكله لكن ربما تأكل كثيراً فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتموت من ذلك الداء أو تقرب ، فإن لم تأكل الدابة إلا بقدر ما يطيقه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينهضم ماأكلت وحتى تبول وتروث روثاً وتحصل لها خفة من خروج الروث والبول منها فلا يضرها الأكل فكذلك من يحصل له مال كثير فإن الحرص على المال وتكثير الأكل والشرب والتجمل فيقسو قلبه وتتكبر نفسه ويرى نفسه أفضل من غيره ويحتقر الناس ويؤذيهم ولا يخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور وإطعام السائلين والأضياف وحقوق الجار فمن كانت هذه صفته لا شك أن المال شر عليه ومن لا يحتقر الناس ولا يفتخر عليهم ولا يشتغل بجمع المال بحيث يفوت عنه طاعة ويحسن إلى الناس فماله خير له كما قال عليه السلام : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » فإذا عرفت هذا فقد عرفت أن الخير والشر لا يحصل للرجل من المال بل نفس الرجل التى هى تصرف المال فيما فيه خير له أو شر له ، قاله المظهرى وقال ﷺ : « لكل أمه فتنة وفتنة أمتى المال » وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول : ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك » . وحكى أن رابعة العدوية رضى الله عنها كانت تقول « لكل يوم ليلة وهذه ليلتى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح وتقول للنهار كذا فلا تنام حتى تمسى . وقال أبو بكر بن عياش [1] : ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة ، وصام ابن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها ، ولم يضع سليمان التيمى جنبه عشرين سنة . وصلى عبد القادر الجيلانى رحمة الله عليه الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولزم الغزالى الانقطاع ووظائف أوقاته على وظائف الخير بحيث لا يمضى لحظة منها إلا فى طاعة من التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث خصوصاً البخارى ، وإدامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب إلى

---

(١) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى المقرىء الحناط . قال ابن حجر : مشهور بكنيته والأصح أنها اسمه وقيل اسمه محمد أو عبد الله أو سالم وقيل غير ذلك ثقه عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح من الطبقة السابعة . توفى سنة ١٩٤ هـ . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٣٩٩ ترجمة ٦٥ .

ان أنتقل إلى رحمة الله تعالى ، ولم يضع النووى رحمة الله جنبه على الارض نحو سنتين وكان لا يضيع له وقتاً فى ليل ولا نهار إلا فى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى فى ذهابه فى الطريق ومجيئه يشتغل فى التكرار والمطالعة .

وحكايتهم فى المبادرة إلى الخيرات كثيرة يكفى من وفقه الله ما ذكرنا وكل ذلك من نتيجة قصر الامل .

اعلم أن مما يعينك على ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ، ويسعون سعيك ويعملون فى الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم ، وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم ، وفجعت فيهم أحبابهم فأفردوا فى قبورهم موحشة وصاروا جيفاً مدهشة والأحداق سالت والالوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت مع فتان يقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ، ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون ، فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكورة ونجوماً منكدرة وملائكة منزلة وأهوالاً مذعرة وصحفاً منتشرة وناراً زفرة وجنة مزخرفة فعد نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدى كالبهائم ترتع ولا تدرى ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[2] .

يا بنيى القصر الكبير	بين الدساكر[3] والقصور
ومجرد الجيش الذى	ملأ البسيطة والصدور
ومدوخ الأرض التى	أعيت على مر الدهور
أما فرغت فلا تدع	بنيان قبرك فى القبور

(١) سورة الحجر آية ٣ .

(٢) سورة غافر آية ٧١ : ٧٢ .

(٣) جمع دسكر وهو بناء للأعاجم كالقصر حوله بيوت فيها الشراب والملاهى للملوك .

وانظر إليه تراه كيف / إليك معترضاً يشير
واذكر رقادك وسطه / تحت الجنادل[1] والصخور
قد بددت تلك الجيوش / وغيرت تلك الامور
واعتضت من بين الحرير / خشونة الحجر الكبير
وتركت مرتهناً به / لا مال معك ولا عشير
حيران تعلن بالآسى / لهفان تدعو بالثبور
ودعيت باسمك بعدما / قد كنت تدعى بالأمير

* * * *

(١) الجنادل جمع جندل وهو مكان فى مجرى النهر فيه حجارة يشتد عندها جريان النهر .

سكرات الموت

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾(٢) .

روى البخارى فى صحيحة أن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن رسول الله ﷺ كان بين يديه علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يديه فجعل يقول الى الرفيق الأعلى حتى قبض » وفى صحيحه : « لما ثقل ﷺ جعل يتغشاه الكرب فجعلت فاطمة رضى الله عنها تقول واكرب أبتاه فقال ﷺ لا كرب على أبيك بعد اليوم » ويروى أن النبى ﷺ دخل على مريض فقال « إنى لأعلم ما يلقى ما فيه عرق إلا وهو يألم بالموت على حدته » . ويروى عن مكحول عن النبى ﷺ أنه قال : « لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والارض لماتوا بأذن الله تعالى » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين « هو كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى » وكان علي رضى الله عنه يحض على القتال فى سبيل الله ويقول : « إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش » . وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم ، ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له «كيف وجدت الموت » قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٢) سورة ق آية ١٩ .

«أما إنا قد هونا عليك » . وعن موسى صلوات الله عليه أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له « يا موسى كيف وجدت الموت » قال : وجدت نفسى كشاة حية بيد القصاب تسلخ ..

وذكر أبو بكر بن ابى شيبة [1] فى مسنده عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج فإنهم كانت فيهم أعاجيب » ثم أنشأ يحدث قال « خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال : ففعلوا فبينما هم كذلك إذا أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه آثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إلي فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت وكأن عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول لوددت لو أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت فلما أنزل به الموت قيل له يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت يخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه .

فقال : أجد كأن السماوات انطبقن على الارض وأنا بينهما وكأن نفسى تخرج على ثقب إبرة » .

ويروى ان إبراهيم الخليل قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر ؟ قال أتطيق ذلك ؟ قال بلى فأعرض ثم التفت فإذا هو رجل أسود الثياب قاتم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكان ذلك حسبه .

وروى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : إذا بقى على

---

(١) هو عبد الله بن محمد ابراهيم الحافظ الكوفى روى عن أبى الأحوص وابن المبارك وشريك وغيرهم عنه : البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم وثقه العجلى وأبو حاتم . توفى سنة ٢٣٥ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦ / ٢ .

المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه عمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدته درجته في الجنة وإن الكافر إذا كان عمله معروفا في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار .

وروى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال : « لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لأفتديت به من قبل أن أراه » . وقيل لم يلق ابن آدم أشد من الموت وما بعده أشد منه .

وفي الوسيط للواحدي بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر ليس بعدي خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أجب ربك طائعا أو مكرها فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون ؟ فوالله ما ظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحدا » . وعن أنس بن مالك قال : « لقي جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ههنا عشرة الاف وههنا كذا وكذا ؟ فقال ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنهم بين فخذي فألتقطهم بيدي » .

اعلم أنا لو انتظرنا ضربة شرطي لتكدر عيشتنا وفي نفس يمكن مجيء الموت بشدائده وهو أمر من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ويود لو قدر على صياح وأنين ويجذب روحه من كل عضد وعرق فتبرد قدماه ، ثم فخذاه وهكذا حتى يبلغ الحلقوم فعنده ينقطع نظره إلى دنياه ويغلق عنه باب توبته فقد قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر »[1] .

يا فرقة الأحباب لا بد لي منك ويا دار دنيا إنني راحل عنك

---

(١) الغرغرة : وهي تردد الروح في الحلق عند الموت .

ويا قاصر الأيام مالي وللمنى ... ويا سكرات الموت مالي وللضحك
فما لي لا أبكى لنفسي بعبرة[1] ... إذا كنت لا أبكى لنفسي فمن يبكي
ألا أي حي ليس بالموت موقناً ... وأي يقين أشبه اليوم بالشك

* * *

(١) عبرة : مفرد عبرات وهي الدموع .

عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[١] .

وفى كتاب الترمذى كان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » . وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه » . وفى كتاب أبى داود والنسائى عن البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ قال : يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك يقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[٢] .

قال فينادى مناد من السماء أن صدق عندى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مد بصره.

وأما الكافر فذكر موته قال ويعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه

---

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٧ .

اضلاعه ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلاً لصار تراباً فيضربه بها ضربه يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين[1] فيصير تراباً ثم يعاد فيه الروح .

وفى كتاب الترمذى عن بن سعيد الخدرى قال دخل رسول الله ﷺ لصلاة فرأى ناساً كأنهم يكثرون قال : أما إنكم لو اكثرتم ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هازم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحباً واهلاً أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلي فإذا وليتك وصرت إلي فسترى صنعى بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب من الجنة .

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغضن من يمشى على ظهرى إلي فإذا وليتك اليوم صرت إلي فسترى صنعى بك قال فليتئم عليه حتى يلتقى عليه وتختلف أضلاعه . قال وقال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال ويقيض له سبعون تنيناً لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفيض به إلى الحساب . قال وقال رسول الله ﷺ : « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » ويروى أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته فقال له عمر : يا ابن أخى وما يعجبك منى فكيف لو رأيتنى بعد دخول قبرى بثلاث وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد والدود من المناخر والفم وانتفخ البطن فعلا على الصدر وخرج الدبر من الصلب لرأيت إذ ذاك شيئاً أعجب مما رأيته الآن .

وكان بكر العابد يقول لأمه يا أمه ليتك كنت بى عقيماً إن لأبنك فى القبر حبساً طويلاً وإن له من بعد ذلك رحيلاً .

---

(١) المقصود بهم الإنس والجن .

وقال حاتم الأصم من مر بفناء القبور ولم يتفكر فى نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . قال القشيرى سمعت أبا علي الدقاق يقول دخلت على الإمام أبى بكر بن فورك عائدا فلما رآنى دمعت عيناه فقلت له إن الله يعافيك ويشفيك فقال لى ترانى أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت .

وسمعت بعض الفقراء يقول إن سبب زهد داود بن نصر الطائى انه سمع نائحة تنوح : بأى خديك تبدى البلا وأى عينيك إذا سالا واعجبا لو وصف طبيب لك داءك ودواءك لاستمعت إليه ولأطعته وهذا دواء دائك العظيم الدفين الذى يصلى صاحبه نار جهنم فلا تسمع إليه حق الاستماع وربما إن طال المجلس نعست أو تكلمت مع أنه ورد ذم المتكلم . ولو كنت فى لهو أو أمر دنيا لم تنعس بل ارتحت له وما ذاك إلا لخبث سريرتك وضعف إيمانك أين آباؤك وأبناؤك وأين إخوانك وأحبائك سكنوا بطون الأرض وصاروا أكلاً للهوام ولا يقدرون على دفع ما يلقون من العذاب :

هو الدهر فاصبروا ما على الدهر معتب ... وليس لنا من خطة الموت مهرب

ولا بد من كأس الحمام[1] ضرورة ... ومن ذا الذى من كأسه ليس يشرب

وما يعمر الدنيا الدنية حازم ... إذا كان فيها عامر العمر يخرب

وإن علياً ذمها فى كلامه ... وطلقها[2] والجاهل الغر يخطب[3]

ولما أتى بالكوز والناس حضر ... فقال لهم يا للرجال تعجبوا

ألا إن هذا الكوز فيه مواعظ ... لمعتظظ من ظلمة القبر يرهب

فكم فيه من ثغر وعين كحيلة ... وخد أسيل كان يهوى ويطلب

وكم من عظيم القد صارت عظامه ... إناء ومنه الماء يا قوم يشرب[4]

---

(١) الحمام : الموت .

(٢) هنا إشارة إلى قول على رضى الله عنه (أيتها الدنيا إليك عنى غرى غيرى فإننى قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها) .

(٣) أى أن الإنسان المغرور بالدنيا يطلبها ويسكن إليها

(٤) وهذا الكلام دليل على أن الإنسان لابد أن يعود إلى التراب قال تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها=

وينقــل مــن أرض لأخــرى هــديــة   فــواعجبــاً بعــد البـــلا يتغـــرب

اللهـم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد ولاة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين .

* * *

= نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ .

وقال الشاعر :

وما أظن أديم الأرض   إلا من هذه الأجساد

وقال العقاد أيضا :

أسائل أمنا الأرضا   ســـؤال الطفــل للأم

فتخبرني بما أفضى   إلـى إدراكـه علمـى

جزاها الله من أم

إذا ما انجبـــت تأد   تغزى الجسم بالجسم

وتأكل لحم ما تلد   فقلت لها أين عظام النابهين من الامم

فقال قد صنعت لكم بها حلوى من الثمر

أحوال الموتى

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « مر النبى ﷺ بقبرين فقال : إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقال لعله أن يخفف عنهما مالم تيبسا » . ورؤى بعض الموتى فى المنام فقيل له كيف كان حالك فقال صليت يوماً بلا وضوء فوكل على ذئب يروعنى فى قبرى فحالى معه فى أسوأ حال . ورؤى آخر فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال : دعنى فإنى لم أتمكن من الغسل يوماً من الجنابة فألبسنى الله ثوباً من النار أتقلب فيه ليلاً ونهاراً . ومر عيسى بن مريم عليه السلام بمقبرة فنادى رجلاً منهم فأحياه الله فقال من أنت فقال كنت جمّالا أنقل الناس فنقلت يوماً لإنسان حطباً وكسرت منه خلالاً وتخللت به فأنا مطالب به منذ مت . ورؤى سفيان الثورى [1] فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال بالورع . ووقف حسان بن أبى سنان على أصحاب الحسن فقال أى شىء أشد عليكم فقالوا الورع فقال ولا شىء أخف على منه فقالوا فكيف ؟فقال لم أرو من نهركم أربعين سنة . وكان حسان بن أبى سنان لا ينام مضطجعاً ولا يأكل سميناً ولا يشرب بارداً ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له ما فعل الله بك خيراً إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ويعبد ربه أربعين سنة وكان فى ابتداء الأمر كيالاً فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك خيراً غير أنى محبوس عن الجنة وقد خرج على من غبار القفيز أربعون قفيزاً.

ويروى أن رجلاً جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام

---

(١) سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله من أتباع التابعين بالكوفة وكان من الحفاظ المتقنين والفقهاء فى الدين ممن لزم الحديث والفقه ،واطب على العبادة والورع حتى صار علما يرجع إليه فى الأمصار وملجئا يقتدى به . توفى بالبصرة ١٦١ هـ انظر المشاهير / ١٧٠ .

فرأى صاحب القبر فى المنام فقال هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتاك فى صحيفتى أحب إلى من الدنيا وما فيها . وقال بعض الصالحين مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لى لأن أقدر أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلاناً جاء فصلى ركعتين لأن أقدر أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها. وذكر أبو سبرة أن منكراً ونكيراً أتيا رجلاً إلى قبره وقالا إنا ضاربوك مائة ضربة فقال الميت إنى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطا عنه عشراً ولم يزل يتشفع حتى حطا الجميع إلا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه ناراً فقال لم ضربتمانى فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه . وقال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته إنا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر فى المنام فرأيته فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بإزار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك وبأى حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لى منذ فارقتكم فقلت اثنتى عشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت فى الحساب وخفت أن أهلك إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر ولم يكن له فى دنياه شىء من أسباب الولاية سوى درة

وروى أنه زنى أبو شحمة ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجلده مائة جلدة فمات فلما كان بعد أربعين يوماً قال حذيفة بن اليمان رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله ﷺ أقرىء عمر منى السلام وقل له هكذا آمرك أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام ياحذيفة أقرىء أبى منى السلام وقل له طهرك الله كما طهرنى والسلام .

وروى عن أبى بكر بن أبى الدنيا بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله قال نبشت إنساً فوجدته قد سمر بمسامير فى جميع جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجليه وقال الآخر ما سبب توبتك قال رأيت جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص .

ويروى أن بعض النباشين [1] نبش ذات ليلة قبراً فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله تعالى وقيل رؤى الأوزاعى [2] فى المنام فقال ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم المحزونين . ورؤى أبو عبد الله النداد فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحداً استحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له وما ذاك فقال نظرت إلى شخص جميل فاستحييت أن أذكره .

وروى عن هاشم بن حسان أنه قال مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فإذا شيب فى رأسه فقلت يا بنى ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق احد منا إلا شاب . وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض وقيل ما هذا ؟ فقالوا إن أهل القبور كسوا لباساً جدداً لقدوم كرز عليهم .

وروى أن بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام إلى ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذ تراءى لي تلك الليلة فقلت يابنى ألم تك ميتاً فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى أرزق فقلت ما جاء بك فقال نودى فى أهل السموات أن لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم .

وروى عن عبد الواحد بن عبد المجيد الثقفى قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة رجال وامرأة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابنى قلت أو لم يكن لك جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا فقالت هو مخنث قال فرحمتها

(١) النباشين : الذين ينبشون قبور الموتى بعد دفنهم للاستيلاء على أكفانهم .

(٢) الأوزاعى : هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو أحد أئمة الدين فقها وعلما وورعاً وحفظا وفضلا وعبادة وضبطا من اتباع التابعين . توفى ببيروت مرابطا سنة ١٥٧ هـ .
انظر المشاهير / ١٨٠ .

وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرنى فقلت من أنت فقال أنا المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى تزود لنفسك ياأخى بالتقوى ومن عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ومن تفكر فى رحيل من كان لديه صار النهوض مستيقناً عليه كم مغرور بشبابه وصحة حاله اختطفه الموت من خلاله كم من مائل إلى جمع ماله ترك تركة ومر بأثقاله هل رحم الموت مريضاً لضعف أوصاله هل ترك محاسبا لأجل أطفاله :

لقد أخبرتك الحادثات نزولها ونادتك ألا إن سمعك ذو وقر

تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا ونفسك لا تبكى وأنت على الأثر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تمرضنا وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا إنك على كل شىء قدير .

* * *

أشراط الساعة وأحوالها

قال الله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ① مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾[1]

وروى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال :« إن أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنى ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم ».

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير دين الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع ».

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتى وأهل بيتى فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء[2] وساكن الأرض لاتدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً ولاتدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء الموت ، يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين .

وفى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال أطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال « ما تذكرون »قالوا نذكر الساعة قال « إنها لن تقوم حتى

---

(١) سورة الأنبياء آية ١ : ٣ .

محدث أى منزلا بالوحى .

(٢) أى السماء وما فيها من ملائكة وغيرها إن كان هناك سكان آخرون .

تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ».

وفى صحيح مسلم قال : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ».

واختلف فى أول الآيات فقيل أولها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وجاء من رواية ابن أبى شيبة [1] عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها ».

ودابة الأرض طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر وقيل مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات تتصدع بجبل الصفا فتخرج من ليلة جمع والناس نزول الى منى وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا فينكت فى وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم فينكت فى وجهه كافر .

وفى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال وذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال « إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وإن يخرج ولست فيكم فالمرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جوازكم من فتنته أنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يارسول الله وما لبثه فى الأرض قال « أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه الصلاة يوم قال « لا أقدروا له قدره » قلنا يارسول الله وما

---

(١) ابن أبى شيبة : هو عثمان بن أبى شيبة بن محمد بن ابراهيم أبو الحسن الكوفى صاحب المسند والتفسير روى عن هشيم وحميد وعبد الرحمن الرواسى وغيرهم وعنه الجماعة سوى الترمذى والنسائى ذكره ابن حبان فى الثقات توفى سنة ٢٣٩ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٩ .

إسراعه فى الأرض قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كنت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس اقوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل وتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذ طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيس قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم فى الجنة بدرجاتهم فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم فأحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون قد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله إليهم نشابهم مخضوبة خضوبة دماً ويحصر نبى الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ـ وروى زهمهم بضم الزاى وفتح الهاء وموضع زهمة وهى الريح المنتنة ـ ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ـ ويروى تطرحهم بالسهيل ـ ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعباتهم سبع سنين ثم يرسل الله مطاً لا يكن

منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة منت الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وتبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة» وأنشد بعضهم :

مثـــل لقلبك أيهـــا المـــغرور ... يوم القيامـــة والسمـــاء تمـور[1]

قد كورت شمس النهار[2] وأضعفت ... حـــراً على رأس العبـاد تـفـور[3]

وإذا الجبـــال تقلعـــت بأصـولها ... فـــرأيتها مثل السحـــاب تسير

وإذا العشـار تعطلـت[4] عن أهلهـا ... خلـــت الـديار فمـــا بهـا مغرور

وإذا النجوم تساقطـــت وتناثـــرت ... وتبدلـــت بعـــد الضيـــاء كـــدور

وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت ... وتقـــول للأمـــلاك أيـــن نسيـــر

فيقال سيروا تشهـدون فضائحـــاً ... وعجـائباً قد أحضـــرت وأمـــور

وإذا الجنـين بأمـــه متعلـــــق ... خـــوف الحساب وقلبـــه مذعـور

هـذا بلا ذنـب يخاف لهـولـه ... كيف المقيم على الذنـوب دهـور

* * *

---

(١) تحركت واضطربت .

(٢) كورت الشمس : أزيل ضياؤها أو لفت وطويت .

(٣) أى المشتدة حرارتها .

(٤) النوق الحوامل أهملت بلا راع .

النفخ فى الصور

قال الله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) ﴾[١].

وفى كتاب النسائى[٢] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ » . قالوا يارسول الله وكيف نقول قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الزمر الآيات ٦٨ : ٧٥ . الصور : القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل . فصعق : مات وهى النفخه الأولى . زمرا : جماعات متفرقة ومتتابعة . حقت : وجبت وثبتت . طبتم : طهرتم من دنس المعاصى . نتبوأ : ننزل . حافين : محدقين ومحيطين .

(٢) النسائى : هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى ولد بنسا سنة ٢١٤ هـ صاحب السنن الكبرى . توفى بفلسطين سنة ٣٠٣ هـ سمه من خلائق لا يحصون وكان اماما فى الحديث ثقة ثبتاً حافظا . انظر تهذيب التهذيب ١ / ٣٧ .

يقـول : ويحشر الناس يوم القيامة حفـاة عراة غرلاً . قلت يارسول الله النسـاء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟قال : «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ :« يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم ».قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجـوههـم قـال : « إن الذى أمشـاهـم فى الدنيـا على أقـدامـهـم قـادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ

قـال : « يحشـر الناس يوم القـيامـة على ثلاثة طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا »

وفيه قال ﷺ : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » .

وفيه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء صفراء كقرصة النقى قال سهل أو غيره وليس فيها معلم لأحد وصح أن رسول الله ﷺ قال : «يبعث الميت فى ثيابه التى مات فيـهـا »قيل المراد بالثيـاب العـمل وحـمله أبو سعيد الخدرى على ظاهره .

وفى صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » .قال سليم بن عـامر فـوالله مـاأدرى مايعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكتحل به العين قال : « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كـعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقـويه ومنهـم من يلجمهم العرق إلجاماً وأشار بيده ﷺ إلى فيه ».

وفى مسند أبى بكر البزار عن جابر بن عبد الله قال :قال رسول الله ﷺ إن

العرق يلزم المرء فى الموقف حتى يقول يارب إرسالك بى إلى النار أهون على مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب .

وقال بعض السلف لوطلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت الصخر ونشفت الأنهار .

وقال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» .

قال الحسن البصرى رحمه الله فما ظنكم بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً ثم انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية أى متناهية فى الحرارة أوقدت عليها جهنم منذ خلقها .



شفاعة النبى ﷺ

قال الله تعالى :

﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[1].

وفى صحيح البخارى ومسلم [2] عن أبى هريرة رضى الله عنه أتى النبى ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم : فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله ولن يغضب بعده وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك أما ترى مانحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) مسلم : هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أبو الحسن ثقة حافظ ، إمام مصنف ، عالم الفقه ، صاحب الصحيح . توفى سنة ٢٦١ هـ . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٢٤٥ .

فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى نفسى إذهبوا إلى غيرى إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه فيقول عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً فيأتون محمداً ﷺ» .

وفى رواية «فيأتوننى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فانطلق وآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على من محامده حسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب أمتى يارب أمتى يارب فيقول :يامحمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال : والذى نفسى بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » .

وفى الصحيحين « **يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لايسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون** » .

وفى رواية فى صحيح مسلم سبعون ألفاً مع كل واحد منهم سبعون ألفاً قال فى المفاتيح :التوكل نوعان خاص وهو أن يترك التداوى والاسترقاء والكى لغاية ثقته بأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من النفع والضر وهو المراد هنا . وعام يجب على الكل وهو أن يعلم أن لا مؤثر إلا الله فالطعام لا يشبع والأدوية لا تشفى إلا بأمره ، ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء . وكسب المال بالتجارة والحرف .

* * *

الحساب

قال الله تعالى :

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى :

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾(٢) .

وفى صحيح مسلم عن شقيق بن عبد الله قال النبى ﷺ : « يؤتى بجنهم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

وفى صحيح البخارى «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال هل بلغت فيقول له نعم يارب فيسأل أمته هلى بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله ﷺ فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال :

عدولاً ، ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٣) .

وقال مقاتل فى قوله تعالى : ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾(٤) أى اعتزلوا اليوم يعنى فى الأخرة من الصالحين وقال السدى كونوا على حدة.

وفى الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « يقول الله ياآدم قم فابعث بعث النار فيقول لبيك وسعديك والخير بين يديك وما بعث النار ؟فيقول من كل ألف

---

(١) سورة الشعراء آيات ٩٠ : ٩٥ . أزلفت الجنة : قربت بحيث يرى نعيمها . برزت الجحيم : أظهرت بحيث ترى أهوالها . الغاوين : الضالين . فكبكبوا : فألقى الأصنام على وجوههم مراراً

(٢) سورة الأعراف آية ٦ : ٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٤) سورة يس آية ٥٩ .

تسعمائة وتسعة وتسعين قال فحينئذ يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » فاشتد ذلك عليهم فقالوا يارسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله ﷺ «تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد » فقال الناس الله أكبر فقال رسول الله ﷺ «والله لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنةوالله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة والله إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبر الناس فقال رسول الله ﷺ « ما أنتم يومئذ فى الناس إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض ».

فى صحيح مسلم قال ﷺ :«لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاه الجلحاء من الشاهة القرنا » قال الكلبى يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كن تراباً فسوى بهن الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان تراباً لما قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾[1].

وفى كتاب الترمذى وغيره عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله تعالى حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ». وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال «أتدرون مم أضحك؟» قلنا الله ورسوله أعلم قال « من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى فيقول إنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الشاهدين عليك شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل ».

وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال . قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى

---

(١) سورة النبأ آية ٤٠ .

إلا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من حوسب يوم القيامة عذب » فقلت أليس قد قال الله تعالى :

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً ﴾[1] قال «ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » .

فتفكر رحمك الله سؤال ربك لك بغير واسطة على كل قليل وكثير ونقير وقطمير وقول الملائكة يا فلان هلم إلى الموقف وقد روى عنه عليه السلام : إن لله ملكاً ما بين شفرتى عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض فترتعد فرائضك وتضطرب جوارحك وتتمنى حملك إلى جهنم ولا تعرض قبائحك على ربك تعالى فتوهم نفسك فى أيدى الموكلين بك حتى انتهوا بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه ياابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وأعطيت كتابك الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فليت شعرى بأى قدم تقف بين يدى الله وبأى لسان تجيب وبأى قلب تعقل ماتقول وماذا تقول إذا قال : أما استحييت منى ظننت أنى لا أراك .

وعن الفضيل : إنى لا أغبط أن أكون ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاقبون فى القيامة إنما أغبط من لم يخلق .

وأنشد بعضهم :

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا مستعطفاً قلق الأحشاء حيرانا

النار تزفر من غيظ ومن حنق على العصاة وتلقى الرب غضبانا

اقرأ كتابك ياعبدى على مهل وانظر إليه ترى هل كان ما كانا

---

(١) سورة الإنشقاق آية ٨ .

لما قرأت كتــاباً لا يغــادر لــي   حــرفاً ومــا كــان فى الســـر وإعلاناً
قال الجليل خــذوه يا ملائكتى   مــروا بعبدى إلــى النيــران عطشانـــا
يارب لا تخزنا يوم الحساب ولا   تجعــل لنارك فينــا اليــوم سلطـــانا

* * *

فصل : في الميزان

قال الله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ ⦗١⦘ مَا الْقَارِعَةُ ⦗٢⦘ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ⦗٣⦘ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ⦗٤⦘ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ⦗٥⦘ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⦗٦⦘ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⦗٧⦘ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⦗٨⦘ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⦗٩⦘ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ⦗١٠⦘ نَارٌ حَامِيَةٌ ⦗١١⦘ ﴾(١) .

وذكر أبو بكر البزار رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبداً وإن خفت ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى شقاوة لايسعد بعدها أبداً » .

وفى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال ﷺ « ما يبكيك ؟»قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال ﷺ «أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر فيها أحد أحداً عن الميزان حتى يعلم أيخفف ميزانه أم يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم أقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهرانى جهنم » .وفى الوسيط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليعتذرن الله الي آدم ثلاث معاذير يقول الله ياآدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغضت الكذاب والخلف وأوعدت لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى أمرى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. ويقول الله عز وجل : ياآدم اعلم أنى لا أدخل من ذريتك النار أحداً ولا أعذب منهم بالنار أحداً إلا من قد علمت بعلمى أنى لو رددته إلى الدنيا لعاد الى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب .ويقول عز وجل : « قد جعلتك حكماً بينى وبين ذريتك

---

(١) سورة القارعة آية ١ : ١١ . القارعة : القيامة تقرع القلوب بأهوالها . كالفراش : طير كالبعوض يتهافت على النار . المبثوث : المتفرق المنتشر . كالعهن : كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة . المنفوش : المفرق . فأمه هاوية : مأواه جهنم يهوى فيها .

قم عند الميزان فانظر مايرفع إليك من أعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنى لا أدخل منهم النار إلا ضالماً » . وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « أتدرون من المفلس» قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

وفى الصحيح « إن أول ما يقضى فى الدماء » .

وفى معالم التنزيل روى عن عبد الله بن مسعود قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجىء إلى حقه فليأخذه فيفرح المرءأن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وإن كان صغيراً ومصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾(1) .

ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهب الدنيا فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا فى أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا بقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول الله عز وجل ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾(2)

---

(1) سورة المؤمنون آيات ١٠١ : ١٠٣ .

(2) سورة النساء ، آية ٤٠ .

وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكاً إلى النار.

وذكر الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله أتنكر من هذا شيئاً ، أظلمك كتبتى الحافظون ؟فيقول لا يارب فيقول الله أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لاظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال : أنك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء : أى من كان معه ذكر الله فلا يقاومه شيء يترجح من المعاصى بل يترجح الذكر على المعاصى .

فتفكر رحمك الله فى ميزانك واحترز من خسرانك واعلم أن من لاسيئة له فله الجنة ومن لا حسنة له فله النار ومن خلط فالعدل بالميزان فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضيق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمعقرة إليه أسرع .

قيل إذا تعلق المظلوم بالظالم الأواب وهو الذى أقلع عن الذنب فلم يعد إليه ولم يتمكن من الاستحلال قال الله للمظلوم ارفع رأسك فيرفع رأسه فإذا بقصر عظيم يلوح فيقول : ماهذا يارب ؟فيقول :إنه للبيع فاشتره منى فيقول مامعى ثمنه فيقول :أن تبرىء مظلمة أخيك فالقصر لك فيقول قد فعلت يارب .

وحكى أنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى فقال له ابنه ما يبكيك يأأبت؟ فقال يابنى لست أبكى على الدنيا ولا على نعيمها ولكن على ما أمامى من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكئود والزاد القليل والحمل الثقيل ولا أدرى أيحط عنى ذلك الحمل حتى أبلغ الغاية أم أثقل حتى أساق إلى النار

فلهذا أبكي ومات رحمه الله .

وأنشد بعضهم :

أراني إذا حدثت نفسي بتوبة   تعرض[1] لي من دون ذلك عائق[2]

تقضت حياتي في اشتغال وغفلة   وأعمال سوء كلها لا توافق

طردت[3] وغيري بالصلاح مقر   ودون بلوغي مسلك متضايق

وكيف وزلات المسيء[4] كثيرة   أيقرب عبد عن مواليه آبق[5]

إلى الله أشكو قلب سوء قد احتوى   عليه الهوى واستأصلته العلائق[6]

ولي حزن يزداد في كل لحظة   ودمع جفوني للبكاء يسابق

فإن تغفر الذنب الذي قد أتيته   فذاك رجائي والظنون توافق

علامة مايولي من الفضل إن أنا   هجرت الدنا[7] او قلت إنك طالق

هنالك يبدو كل سر معظم   لعيني وتغشاني هناك الحقائق

* * *

(١) أي ظهر لي ليمنعني .

(٢) مانع .

(٣) أي خرجت من الدنيا وأنا بعيد عن رحمة الله .

(٤) أي أخطاء المذنب كثيرة .

(٥) أبق العبد أي هرب .

(٦) أي قد سيطرت عليه الشهوات والغفلات واسطلمته السيئات وقطعته والذنوب .

(٧) مفردها دنيا وهي الحياة الدنيا .

المرور على الصراط والحوض

قال الله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[١] .

واختلف في ورودها فقيل هو الدخول فيها وهى خادمة فعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم وقيل هو الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها وصححه النووى رحمه الله .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أو حذيفة [٢] بعد ما ذكرت حديث الشفاعة التى لجأ الناس اليه ﷺ فيها وهو الإراحة من الموقف والفصل بين العباد قال فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبى الصراط يمناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وأشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول رب سلم رب سلم حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال : وفى حافظتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت فمخدوش ناج ومكدوس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً .

قال فى إكمال العلم تفسير الحديث الآخر : « إن الصخرة العظيمة لتلقى فى شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاماً حتى تفضى إلى قرارها » .

وفى صحيح البخارى قال : رسول الله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت

---

(١) سورة مريم آيات ٦٨ ـ ٧٢ .

(٢) هو حذيفة بن اليمان العبسى أبو عبد الله من المهاجرين شهد المشاهد وأمين سر رسول الله ﷺ فى المنافقين . توفى بعد قتل عثمان بن عفان بأربعين ليلة . انظر المشاهير / ٤٣ .

بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى لمنزلة فى الجنة منه لمنزلة كان فى الدنيا .

وفى رسالة القشيرى قال معاذ بن جبل : إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته ، حتى يخلف جسر جهنم .

وكان أبو ميسرة رضى الله عنه ، إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمى لم تلدنى ، ثم يبكى ، فقيل مايبكيك ؟فقال :أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها .

وبكى عبد الله بن رواحة وقال : آية أنزلت ينبئنى فيها ربى،إنى وارد النار ، ولم ينبئنى أنى صادر عنها ، فذلك الذى أبكانى .

وقال الحسن :كيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم ولم ينبئه بأنه صادر عنها .

وفى صحيح مسلم عن أنس قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذا إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً ،فقيل : ماأضحكك يارسول الله ؟ قال: «نزلت على آنفاً سورة يقرأ فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾[1] .

ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟»فقلنا :الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلع العبد منهم فأقول ربى إنه من أمتى فيقول : ماتدرى ما أحدث بعدك » .

وقوله يختلع بلفظ المجهول أى يعدل به عن الحوض ،وهو إما المرتد وإما العاصى.

وفى كتاب الترمذى عن سمرة بن جندب قال :قال رسول الله ﷺ : « إن

(١) سورة الكوثر بأكملها .

لكل نبى حوضاً وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة وأنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة ».

وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : قال النبى ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ، ثم يحال بينى وبينهم » .

وزاد أبو سعيد الخدرى فقال : فأقول إنهم منى فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول :سحقاً سحقاً لمن غير بعدى ».

[قوله لم يظمأ] أى لم يعطش وفيه أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وفيه أن الواردين المارين عليه كلهم يشربون ، وإنما يمنع الذين يزادون عن الورود والمرور عليه ، وسحقاً:أى بعداً ، وهذا مشعر بأنهم مرتدون عن الدين ، لأنه يشفع للعصاة ، ويهتم بأمرهم ، ولايقول لهم مثل ذلك .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «بينما أنا قائم عند الحوض ، إذ زمرة حتى إذا عرفتهم ، خرج رجل من بينى وبينهم ، فقال هلم فقلت : إلى أين ؟ قال إلى النار والله قلت : ما شأنهم ، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ،ثم إذا زمرة إذا عرفتهم ، خرج رجل من بينى وينهم ، فقال هلم فقلت إلى أين قال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم ، قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص فيهم إلا مثل همل النعم » .

قال الكرمانى فى الكواكب الدرارى والهمل بفتحتين ما يترك مهملا لا يتعهد ولا يرعى ، حتى يضيع ويهلك ، أى لا يخلص منهم من النار ، إلا قليل وهذا مشعر بأنهم صنفان كفار وعصاة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال بل أنتم

أصحابى ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » . قالوا : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادان رجال عن حوضى ، كما يذداد البعير الضال أناديها ألا هلم ، فيقال إنهم قد بلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً » .

وفى كتاب الترمذى عن ثوبان عن النبى ﷺ « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وآنيته عدد نجوم السماء ، من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد » فقال عمر بن عبد العزيز لكنى نكحت متنعمات ، وفتحت لى السدد نكحت فاطمة بنت عبد الملك ، لا جرم أن لا أغسل رأسى ، حتى يتشعث ، ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ .

وفى صحيح البخارى كان ابن مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا ، واعلم أن الحوض بيد النبى ﷺ ، على باب الجنة ، يسقى منه المؤمنون ، وهو مخلوق اليوم ، فتب يا أخى إلى ربك واتقه ليخرجك من همك ، واسأله أن يقيك من فتنة تقع فى دينك ، فتذاد عن حوض نبيك قيل إن الله ستر ثلاثاً فى ثلاث ، ستر رضاه فى طاعته فلا يحقرن أحدكم من الطاعة شيئا فرب محتقر من الطاعة فيه رضا الله ، وستر غضبه فى معصيته فلا يحقرن أحدكم شيئاً من المعصية ، فرب محتقر من المعصية فيه غضب الله ، وستر وليه فى خلقه فلا يحقرن أحدكم أحدا من خلق الله ، فرب من لا يؤبه له وهو ولي الله ، وستر أيضاً

رابعاً : وهو الاجابة فى الدعاء ، فلا يحقرن أحدكم شيئاً من الدعاء ، على أى حال كان ، وفى موطن كان .

قف على الباب طالباً وذر الدمـــع ســـاكباً

وتوسل إليه وار — جع عن الذنب تائباً
تلق من حسن صنعه — عند ذاك العجائبا
لا تخف أن ترد عن — كرم الله خائبا
فهو يجزى على اليس — ر ويعطى الرغائبا
شرف المرء بالتقى — فاجعل الصدق صاحبا
واحتشم أن يراك رب — ك للذنب راكبا
إن للدهر أسهما — للرزايا صوائبا
وخطوباً تتابعت — فأثارت نوائبا
فارض بالله واعتصم — واسأل الله راغبا

*   *   *

الشفاعة الكبرى

قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾(١) .

ذكر أبو بكر البزار عن النبى ﷺ قال : « يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتدافع بهم جنبا الصراط تدافع الفراش فى النار ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون من فى النار » .

وروى فى الصحيح : « إن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء » وفى كتاب الترمذى قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم » . قيل : يا رسول الله سواك ، قال : « سواى » وفى مسند البزار : قال : رسول الله ﷺ : « إن أمتى من يشفع للفئام من الناس ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للرجل وأهل بيته » .

وروى الدارقطنى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل أنا لشرار أمتى » . قالوا كيف لخيارها ، قال : « أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم ، وأما شرار أمتى ، فيدخلون الجنة بشفاعتى » .

وروى عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني آت من عند الله فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا ويشرك بالله شيئاً » .

وفى الوسيط للواحدى عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل يقول فى الجنة ما فعل صديقى وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقى فيها فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » .

---

(١) سورة طه آية ١٠٩ .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : إن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال هل : «تضارون الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب » . قالوا : لا يا رسول الله . قال « ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر[1] أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا : كنا نعبد عزير بن الله فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون فى النار ، ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم : ماذا تبغون ، فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ، فيقولون: نعم . فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد اتقاء رياء ، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، يقولون اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض

---

(١) غبر : أى بقايا .

سزله فيه خطاطيف ، وكلاليب وحسك[1] تكون بنجد فيه شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش[2] مرسل ومكدوس[3] في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد منكم بأشد مناشدة لله استسقاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول : إرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول : إرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال[4] من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً ، فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنه ، يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه .

* * *

---

(١) الحسك : أحد أنواع الشوك .

(٢) أى مصاب ومقطوع .

(٣) مكدوس : أى مكبوب وساقط فيها .

(٤) مثقال : أى جزء من الذرة وهى أصغر وحده فى الميزان .

أعلم أن الشفاعات خمس :

أولهما : الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب وهى مختصة بمحمد ﷺ[1] .

والثانية : فى إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهى أيضاً وردت له ﷺ[2] .

والثالثة : قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله له يشفع له[3] .

والرابعة : فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها .

والخامسة : فيمن دخل النار من المذنبين فيشفع فيهم نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين ، ثم يخرج الله كل من قال لا آله إلا الله من غير شفاعة شافع حتى لا يبقى فيها إلا الكافرون كما فى حديث

عن أنس :

« ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول يا رب إئذن لى فيمن قال لا اله إلا الله ، قال ليس ذلك إليك لكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبروتى ، لأخرجن من قال لا اله إلا الله »[4] أى أتفضل بإخراجهم دون شفاعة شافع فهؤلاء هم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم وإنما دلت الآثار أنه أذن لمن عنده شىء زائد على الإيمان من عمل صالح أو ذكر خفى ، أو عمل من أعمال القلب ، من شفقة على مسكين وخوف من الله ونية صادقة فى عمل فاته ، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين دليل عليه ، وتفرد الله بعلم

---

(١) وقد ورد ذلك فى حديث صحيح وبين فيه توارد الأمم على الأنبياء واحالتهم لمحمد ﷺ لانه صاحب هذه المكانة .

(٢) ورد ذلك أيضا عندما وصف ﷺ هؤلاء السبعين ألفا بأنهم لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون وبشر بها ﷺ عكاشة بن محصن .

(٣) ورد ذلك عن رسول الله ﷺ حينما قال « قولوا كما يقول المؤذن ثم صلوا على واسألوا لى الوسيلة فإنها درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد وأرجو أن يكون أنا فمن سألها لى أحلت له شفاعتى يوم القيامة » .

(٤) حديث صحيح .

ما تكنه القلوب ، والرحمة لمن ليس عنده سوى الإيمان لأن مجرد الإيمان الذى هو التصديق لا يتجزأ ، فعليك يا أخى بالإيمان ، بأن تعتقد بقلبك دين الإسلام وتنطق مع ذلك بالشهادتين ، فإن اقتصرت على أحدهما خلدت فى نار جهنم التى وقودها الناس والحجارة ، ولا تنفعك شفاعة شافع ثم عليك أن تحترز من المعاصى ، فإن المعاصى بريد الكفر .

فقد حكى أن تلميذاً للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه ، وقرأ سورة يس . فقال يا أستاذ لا تقرأ هذه السورة فسكت ثم لقنه ، فقال قل لا إله إلا الله ، فقال لا أقولها لأنى برىء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكى أربعين يوماً لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب به إلى جهنم . فقال : بأى شىء نزع الله المعرفة[1] عنك وكنت أعلم تلامذتى ؟ فقال بثلاثة أشياء :

أولهما : بالنميمة ، فإنى قلت لأصحابى بخلاف ما قلت لك .

وثانيها : بالحسد ، حسدت أصحابى .

وثالثها : كان بى علة فجاء إلي طبيب فسألته عنها فقال : اشرب فى كل سنة قدحاً من خمر[2] فإن لم تفعل تبقى بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من السخط الذى لا طاقة لنا به .

قال بعضهم :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه   فما فاته منها فليس بضائر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا ، ووفقنا ولا تخذلنا ، ولا تسلب منا الإيمان عند خواتيمنا ، فإنه لا ملجأ لنا إلا إليك ، ولا معول لنا إلا عليك يا أرحم الراحمين.

---

(٢) أى معرفة التوحيد والاخلاص لله تبارك وتعالى .

(٣) وكل هذه الأشياء فيها نهى صريح من الله تبارك وتعالى قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ وقال ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ فالخمر أم الخبائث .

عذاب الكافرين في جهنم

قال الله تعالى :

﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾(١) .

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾(٢) .

﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾(٣) .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾(٤) .

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾(٥) .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ

---

(١) سورة الحج الآيات ١٩ : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٤ .

(٣) سورة غافر آية ٧١ - ٧٢ .

(٤) سورة فاطر آية ٣٦ ـ ٣٧ .

(٥) سورة الدخان آية ٤٣ - ٤٩ .

وقوله : المهل : دردى الزيت أو الرصاص المغلى . اعتلوه : أى جروه بعنف وقهر وغصب .

إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1] . ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾[3] وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، ثم جاء فقال أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره ، ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء ، فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد .

قال فلما خلق الله النار ، قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات، ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

وفى صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : « ناركم هذه التى يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » ، قالوا والله إن كنت لكفاية يا رسول

---

(١) سورة الواقعة آيات ٤١ – ٥٧ : الحنث العظيم أى الذنب العظيم وهو الشرك وقوله « شرب الهيم » أى الإبل العطاش التى لا تروى قوله « طعام من غسلين » أى من صديد أهل النار قوله « ضريع » أى شىء من النار كالشوك مرّ منتن .

(٢) سورة الحاقة آيات ٣٠ – ٣٦ .

(٣) سورة الغاشية آيات ١ : ٧ .

الله. قال : « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها » .

وذكر سفيان بن عيينة[1] عن أبى هريرة . قال رسول الله ﷺ : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » .

وفى كتاب الترمذى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة » .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبى ﷺ : « أتدرون ما هذا ؟ » قال : قلنا الله ورسوله أعلم قال : « هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها » .

وفى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة ، أرسلت من السماء إلى الارض ، فى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها » .

وفى صحيح البخارى عن أنس عن النبى ﷺ قال : « يقول الله : لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، لو أن لك ما فى الأرض من شىء ، أكنت تفتدى به ؟ فيقول نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت صلب آدم أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك » .

وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران أبو محمد مولى بن عبد الله بن روية ولد بالكوفه وسكن مكه ولد سنه سبع ومائة أدرك سته وثمانين نفساً من أعلام التابعين وأسند عن جمهورهم كعمر بن دينار والزهرى وابن المنكدر وأبى حازم والأعمش وأيوب وحدث عنه كبار الأئمة كالثورى وشعبة والأعمش والأوزاعى . توفى ابن عيينه يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو ابن واحد وتسعين سنه . انظر صفه الصفوة ١ / ٤٦٦ .

ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » وفيه عن سمرة بن جندب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه» .

وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » .

وفي كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « لسرادق النار أربعة جدر ، وكثف كل جدار مسيرة أربعين سنة » .

قال ﷺ : « لو أن دلوا من غساق تهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا » .

قال العلماء : الغساق : عرق أهل النار وصديدهم .

وقيل دموعهم يسقونها مع الحميم .

وقال ﷺ : « ويل واد في جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ويهوى كذلك أبداً» .

وقال ﷺ : « لو أن مقمعاً من حديد وضع على الأرض فاجتمع الثقلان ما نقلوه من الأرض . وقال : لو ضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتت وصار غباراً » .

وفي كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني قد وكلت بثلاث ، بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين » .

وفي كتاب الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في قوله :

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾[١] .

قال يقرب إلى فيه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره .

يقول الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[٢] .

ويقول جلا وعلا : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾[٣] .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان » .

وفيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « وهم فيها كالحون : قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته » .

وفى كتاب الترمذى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه فى جهنم كما بين مكة والمدينة » .

وفى صحيح مسلم قال : ضرس الكافر أوناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيره ثلاث .

وقال : ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يطؤه الناس » .

وفى كتاب الترمذى وغيره عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم

---

(١) سورة ابراهيم الآيتان ١٦ ، ١٧ . قوله « يتجرعه » أى يتكلف بلعه لحرارته ومرارته » وقوله لا يكاد يسيغه » أى لا يكاد يبلعه لشدة كراهته ونتنه .

(٢) سورة محمد آية ١٥ .

(٣) سورة الكهف آية ٢٩ .

على وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفناً أجريت فيها لجرت » .

وحكى عن شقيق البلخى أنه كان يوما يعاتب نفسه ويوصيها ويقول : يا شقيق لا تعص الله إلا على حسب ما تطيق من عذابه وإعمل لآخرتك على قدر حوائجك إليها ، واطلب الرزق على قدر مقامك فى الدنيا ، واعمل لدار لا نفاذ لها فسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار .

وروى أن الربيع بن خثيم كان يذهب إلى ابن مسعود فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة فى الكير فغشى عليه ، ولم يفق إلى الغد ، فلما أفاق سئل عن ذلك ؟ فقال : تذكرت كون أهل النار فى النار .

إخوانى صححوا الإيمان : وهو تصديق القلب ، ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين حتى تنجوا من خلود نار جهنم واحرصوا كل الحرص على الإتيان بكمال خصال[1] الإسلام حتى تنجوا من دخولها رأساً .

أيا عامـلاً للنار جسمـك لـين	**فجـربه تمـرينا بحـر الظهيـرة**
ودرجـه فـى لسـع الزنابيـر تجترى	**علـى نهـش حيات هناك عظيمة**
فإن كنت لا تقوى فويلك ما الذى	**دعـاك إلـى إسخـاط رب البريـة**
تبـارز بالمنكـرات عشيـة	**وتصبـح فـى أثـواب نسـك وعفـة**
فأنت عليه منك أجرى على الورى	**بمـا فيك من جهـل وخبـث طوية**
تقـول مع العصيـان ربى غافـر	**صدقـت ولكـن غافـر بالمشيئـة**
وربك رزاق كمـا هـو غافـر	**فلـم لـم تصـدق فيهمـا بالسـوية**
فإنك ترجـو العفـو من غير توبة	**ولسـت ترجـى الرزق إلا بحيلـة**
على إنه بالرزق كفـل نفسـه	**لكـل ولـم يكفـل لكـل بجنـة**
إلهـي أجـرنا من عظيـم ذنوبنا	**ولا تخـزنا وانظـر إلينـا برحمـة**

---

(١) خصال الاسلام : صفات الاسلام وقواعدة .

وخــذ بنواصينــا إليــك وهب لنا يقينــاً يُقينــا كـل شــك ريبــة

إلهــي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا إلـى الحـق نهجاً في ســواء الطريقة

وكــن شغلنا عن كل شغل وهمنا وبغيتنــا[1] عــن كــل هـم وبغية

وصــل صلاة لا تناهى على الذى جعلــت بــه مسكاً ختـام النبـوة

* * *

---

(١) بغيتنا : أى مرادنا وأملنا .

الخلود فى النار للكافرين

قال الله تعالى :

﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

وفى كتاب الترمذى[2] عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يلقى أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب[3] الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم فيقلون ادعوا خزنه جهنم ، فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، قال : فيقولون ادعوا مالكاً فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك ، قال فيجيبهم إنكم ماكثون .

قال الأعمش : ثبت أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم ألف عام ، قال : فيقولون ادعوا ربكم ، فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال فيجيبهم :

﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[4] قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل .

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على الجنة وبينهم حجاب فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد

---

(١) سورة البقرة آية ٣٩ .

(٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى ولد ٢٣٥ هـ وتوفى ٣١٢ هـ أحد أصحاب السنن ولد ضريراً بترمذ وتفرغ لجمع الحديث وحفظه من شيوخه أحمد بن حنبل والبخارى وأبو داود ومن مؤلفاته السنن الذى شرحه ابن العربى والسيوطى .

(٣) كلاليب : جمع كلوب وهو الخطاف .

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٨ .

وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا : نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين ، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد[1] إلى قعر جهنم .

قال : بعض المفسرين : هو معنى قول الله عز وجل :

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[2] .

وفى الكشاف وأنوار التنزيل عن ابن عباس رضى الله عنهما : إن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار ، يقولون ألف سنة :

﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾[3] .

فيجابون : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾[4] .

فيقولون ألفاً : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[5] .

فيجابون : ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾[6]

فيقولون ألفاً : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[7]

فيجابون : ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾[8]

فيقولون ألفاً : ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾[9]

فيجابون : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾[10]

---

(١) مقامع الحديد : جمع مقمعة وهى حديده معوجة الرأس يضرب بها قال تعالى ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ انظر المعجم الوسيط مادة (ق م ع) .

(٢) سورة السجدة آية ٢٠ .
(٣) سورة السجدة آية ١٢ .
(٤) سورة السجدة آية ١٣ .
(٥) سورة غافر آية ١١ .
(٦) سورة غافر آية ١٢ .
(٧) سورة الزخرف آية ٧٧ .
(٨) سورة الزخرف آية ٧٧ .
(٩) سورة إبراهيم آية ٤٤ .
(١٠) سورة إبراهيم آية ٤٤ .

فيقولون ألفاً : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾[1] .

فيجابون : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾[2]

فيقولون ألفاً : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾[3] .

فيجابون : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾[4] .

ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء[5] .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى منادٍ يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » .

وفى كتاب الترمذى : فلو أن أحداً مات فرحًا لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار .

فاتق الله يا أخى ولا تصغر ذنباً ولا تلقِ مثل هذا خلف ظهرك ظناً منك أنه إنما يلحق الكفار .

فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « يا بلال قم فأذن[6] لا يدخل الجنة إلا مؤمن » .

وإنه ﷺ قال : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » .

---

(١) سورة فاطر آية ٣٧ .

(٢) سورة فاطر آية ٣٧ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٩٩ .

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٨ .

(٥) عواء : أى صراخ وصياح .

(٦) فأذن : أى فناد فى الناس بصوت عالٍ .

وقال الغزالى[1] رحمة الله وكان شيخنا يقول : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فإن الأمر على الخطر ولا تدرى ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك فى حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى :
﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]
هى الموت على غير شهادة .

قال يقول ربنا تبارك وتعالى أخرجوا من عمل مقرا نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : إرجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة

قال أبو حفص الحداد : المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت .

وقال حاتم الأصم : لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة ، فلقى آدم فيها ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقى ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم ، فانظر ماذا لقى ، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى فلم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه .

وعن أبى بكر الوراق رحمه الله ، أنه قال : أكثر ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت ، فنظرنا فى الذنوب فلم نجد أنزع للإيمان من ظلم العباد .

أقنـــع فديتــك بالقليــل ... والزم مقــارنة الخمـــــول[3]
واملك هــواك مجاهـــداً ... وتنــــح[4] عــن قـــال وقيـــل

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ولد بطوس فيلسوف زاهد عابد له نحو مائتى مصنف من الأحياء والتهافت والمنقذ والمقاصد . انظر ترجمته فى لسان الميزان ١ / ٩٣ .
(٢) سورة النور آية ٦٣ .
(٣) أى ولا تتكالب على الدنيا وكن هادئا خاملاً .
(٤) تنح : أى تجنب وابتعد . وردعن رسول الله ﷺ أنه قال « إنما أهلك الأمم من قبلكم القيل والقال وكثره السؤال » .

فلسوف تسأل يوم يحشر ك المليك عن الفتيل[1]
والمرء فى شغل بذا ك عن المصاحب والخليل
لا بد تجزى ما صنعت من الدقيق وبالجليل[2]

تنح ما استطعت على ذنوبك بالغدو وبالأصيل إن كنت ترغب فى الجنان ، وظل مولاك الظليل .

قال فى إكمال المعلم : اعلم ان الإجماع قد وقع على أن الكافر لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بتخفيف عذاب ، ولا بنعيم لكنهم بإضافة بعضهم إلى الكفر كبائر المعاصى وأعمال الشر وأذى المؤمنين يزدادون عذاباً .

كما قال الله تعالى :

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[3]

فليس إذن عذاب أبى طالب كعذاب أبى جهل .

وذكر عن الحسن أن آخر من يخرج من النار يقال له هناد عذب ألف عام ينادى : يا حنان ، يا منان ، فبكى الحسن[4] وقال : يا ليتنى كنت هناداً ، فتعجبوا منه ، فقال : ويحكم أليس يوماً يخرج ولا شك أنه رحمه الله كان عالماً بأحكام الآخرة .

قال يحيي بن معاذ : لا تدرى أى المصيبتين أعظم ، أفوت الجنان ، أم

---

(١) الفتيل الخيط الذى فى شق النواة وهى كلمة كناية على أن الإنسان سوف يسأل عن كل صغيرة وكبيرة يوم القيامة قال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

(٢) الدقيق : كل ما صغر ولطف . والجليل : كل ما كبر وعظم .

(٣) سورة المدثر آيات ٤٢ : ٤٨ .

(٤) هو الحسن بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد الشهير بالحسن البصرى . ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب من عباد البصرة وزهادهم . مات سنة ١١٠ هجرية وله تسع وثمانون سنه . انظر المشاهير ٨٨ .

دخول النيران ، أما الجنة فلا صبر عنها وأما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال ، فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم ، ثم الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى هى فى الخلود إذ أى قلب يحتمله وأى نفس تصبر عليه .

* * *

الجنة وما لها من النعيم

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾[١] .

والسابقون إلى الهجرة أو الخير .

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) ﴾[٢] .

أى منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر ﴿ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾

وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد .

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ولا يشيبون ولا يتغيرون .

﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ جمع كوب إناء لا عروة ولا خرطوم له .

﴿ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴾ أى لا ينشأ عنها صداعهم ولا ذهاب عقلهم .

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[٣] أى المصون عما يضر به .

﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ عبثاً باطلاً[٤] .

﴿ وَلا تَأْثِيمًا ﴾ أى ما يوقع فى الإثم .

﴿ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾ أى إلا التسليم منهم بعضهم على بعض .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .

(٢) سورة الواقعة آيات ١٠ ـ ١٥ .

(٣) سورة الواقعة آيات ١٧ ـ ٣٢ .

(٤) هذا هو جزاء المؤمنين المتقين وجزاء من باع نفسه وماله لله تبارك وتعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ والجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هكذا أخبرنا عنها رسول الله ﷺ .

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ وهم الأبرار دون المقربين .

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾[1] أى لا شوك له أو مثنى الغصن من كثرة الحمل .

﴿ وَطَلْحٍ ﴾ موز .

﴿ مَّنضُودٍ ﴾ متراكم قد نضدد بالحمل من أسفله إلى أعلاه .

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ أى منبسط أو دائم .

وفى الحديث : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ أى مصبوب يجرى على وجه الأرض من غير أخدود[2] .

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ ﴾ فى زمان ﴿ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ من أحد

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[3] كما بين السماء والأرض ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ ذات بهجة ﴿ لِسَعْيِهَا ﴾ فى الدنيا ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ فى الآخرة لما رأت من ثوابها

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ المحل أو القدر ﴿ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴾ لغواً ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾[4] رفيعة السمك إذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترتفع ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ بين أيديهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴾ بعضها بجنب بعض ﴿ وَزَرَابِيُّ ﴾ بسط فاخرة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾[5] مبسوطة .

---

(١) السدر : شجر النبق المعروف فإن المؤمنين يتنعمون به وقوله مخضوض أى مقطوع شوكه وأخرج سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى فى البعث عن عطاء ومجاهد قالا : لما سأل أهل الطائف الوادى يحمى لهم وفيه عسل ففعل وهو واد معجب فسمعوا الناس يقولون إن فى الجنة كذا وكذا قالوا : ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فأنزل الله ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضوض ﴾ .
وورد عنه ﷺ أنه جاءه رجل وسأله يا رسول الله إنا سمعنا أن فى الجنة شجره ما علمنا فيها خيراً قال وما هى قال شجره السدر فإن كلها أذى فقال له رسول الله ﷺ أما سمعت قوله تعالى ﴿ وسدر مخضوض ﴾ أى لا شوك فيه ولا أذى .

(٢) الأخدود : الشق المستطيل على الأرض وتجمع على أخاديد .

(٣) سورة الواقعة آيات ٢٤ ـ ٣٤ .

(٤) سورة الغاشية الآيات ٨ : ١٣ .

(٥) سورة الغاشية الآيات ١٤ : ١٦ .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال تعالى : « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » .

اقرءوا إن شئتم :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[١] .

قال أهل اللغة قرة أعين يعبر بها عن المسرة ، ورؤية ما يحب الإنسان ويوافقه

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « إن الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة » اقرءوا ما شئتم

﴿ **وظل ممدود** ﴾ ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أوتغرب » .

وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة[٢] قال : قلت يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال « من الماء » قلنا الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة[٣] من ذهب ، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها[٤] اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ولا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم » .

وفى صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ،

---

(١) سورة السجدة آية ١٧ .

(٢) أبو هريرة اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسى الحافظ له خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا اتفق على ثلاثمائة وخمسة وعشرين وأنفرد بتسعة وسبعين كما يذهب البخارى أو بثلاثة وتسعين كما يذهب مسلم أخذ عنه إبراهيم بن حنين وأنس وبشر بن سعيد وسالم وابن المسيب ويقال أن ثمانمائة من الثقات زادوا عنه ويقول ابن سعد فى طبقاته أنه كان يسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة .
وقال الواقدى أنه مات سنه تسع وخمسين هجرية عن ثمان وسبعين سنه .

(٣) اللبنة : مايبنى به من طوب وأحجار وغيرها .

(٤) الحصباء : صغار الحجارة .

لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »[1] .

وفيه أيضاً : « ... لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون ، ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء » .

وفيه أيضاً : « ... لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية »[2] .

وفيه[3] قال : يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس .

وفى الصحيحين قال : « إن أهل الجنة يتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

وفى مسند البزار عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهية فيجىء مشوياً بين يديك » .

وفى كتاب الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » فقام إليه أعرابى فقال : لمن هى يا رسول الله فقال « هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » .

---

(١) أى كل من فى الجنة معه زوجاته ولا يوجد فيها عزبا .

(٢) أى يسبحون ربهم صباحاً ومساءاً .

(٣) أى فى صحيح مسلم .

وفى كتاب الترمذى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ قال : « لو أن ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس[1] ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » .

وفى كتاب الترمذى[2] عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة لسوقاً مجتمعاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها » .

وفى كتاب الترمذى عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله هل فى الجنة من خيل ؟ قال : « إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها فرس من ياقوته حمراء تطير بك فى الجنة ، حيث شئت إلا حملت » . وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من إبل فقال « إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » .

وفى كتاب الترمذى قال : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليه أبداً ، وكذلك أهل النار » وقال : « إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب » .

وفى كتاب الترمذى قال ﷺ : « إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاهما درجة ، منها تفجر انهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » .

وحكى أن أصحاب الثورى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله[3] ، فقالوا : يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضاً إن شاء الله تعالى ، فقال سفيان كيف لا أجتهد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور يضىء له الجنان الثمان فيظنون أن ذلك نور من عند

---

(١) طمس : أى محا وأزال .

(٢) المسمى بسنن الترمذى أو الجامع الصحيح .

(٣) رثة حاله : أى زهده وتقشفه .

الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين فينادون أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذى تظنون إنما هو نور جارية تبسمت فى وجه صاحبها ثم أنشد يقول :

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ... ماذا تحمل من بؤس وإقتار[١]

تراه يمشى كئيباً خائفاً وجلا ... إلى المساجد يمشى بين أطمار[٢]

يا نفس مالك من صبر على النار ... قد حان أن تقبلى من بعد إدبار[٣]

وقيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك، ذكره البخارى فى صحيحه .

وروى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى : « **ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من يبخل بطاعتى ...** » .

وعن شهر بن حوشب : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بل سبب نوع من الغرور ، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وخزلان.

وعن رابعة البصيرة أنها كانت تنشد :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال الشيخ اليافعى رحمة الله عليه :

فيا عجباً ندرى بنار وجنة ... وليس لذى نشتاق أو تلك نحذر

إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا ... فماذا بقى فينا من الخير يذكر

ولسنا لحر صابرين ولا بلى ... فكيف على النيران يا قوم نصبر

وفوت جنان الخلد أعظم حسرة ... على تلك فليتحسر المتحسر

---

(١) البؤس : الشقاء والحزن .   والإقتار : البخل والإمساك .

(٢) أطمار : الثياب القديمة البالية ومفردها طمر انظر مختار الصحاح مادة (ط م ر) .

(٣) إدبار : هروب والمعنى يخاطب الثورى نفسه معرفا اياها أنها لا تستطيع أن تصبر على النار ويحضها على العباده وعدم الادبار عن طريق الخير .

فأف[1] لنا أف كـــلاب مزابل[2] إلـى نتنهـا نغـــدو ولا نتـدبـر

نبيع خطيراً بالحقيـــر عمايـــة وليـس لنا عقـل وقلـب منـور

فطوبى[3] لمن يؤتى القناعة والتقى وأوقـــاته فــى طاعـــة الله يعمر

اللهم اجعلنا من المتقين الوارثين للجنة ولا تحرمنا من رفدك ورحمتك يا عظيم المنة .

* * *

(١) هذه الكلمة اسم فعل مضارع بمعنى اتضجر

(٢) والمعنى أنه يحقر نفسه مشبها إياها بكلاب المزابل والرم والقاذورات وما تأباه النفس وقوله هذا كناية عن ضجره من طباع النفس فأراد أن يستصغرها ويحقرها .

(٣) طوبى : أى الحسنى والخير .

وطوبى : شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة .

قال تعالى ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ .

اللهم اجعلنا من أهلها يارب العالمين وأجرنا من النار إنك على كل شىء قدير .

صفة الحور العين

قال الله تعالى :

﴿ وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[٢] .

وقال : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[٣] .

وفى صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم[٤] إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن : أى صفة الكبرياء والعظمة فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم فى دخول جنة عدن فيرونه فيها » .

وفى صحيح مسلم قال : « إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو[٥] فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » .

---

(١) سورة الواقعة آيات ٢٢ - ٢٤ واللؤلؤ المكنون : المصون فى أصدافه مما يغيره .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٨ .

(٣) سورة الواقعة آيات ٣٥ - ٣٨ .

عربا : متحببات إلى أزواجهن

أترابا : مستويات فى السن .

(٤) قال تعالى فى امكان الرؤية يوم القيامة . ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾

(٥) تحثو : أى تنشر وتثير .

وفى كتاب الترمذى قال : « إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب درى فى السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها » .

وفى كتاب النسائى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال : «يعطى قوة مائة » .

وفى كتاب الترمذى عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها[١] يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، فطوبى لمن كان لنا وكنا له** » .

وفى كتاب الترمذى : قال رسول الله ﷺ : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

قال فى الصحاح[٢] النصيف : الخمار .

وفى كتاب الترمذى قال : قال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، كما بين الجابية إلى صنعاء » .

وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً » .

وفى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة ، عن النبى ﷺ قال : « سأل موسى

---

(١) لم يسمع الخلائق مثلها : أى فى الحسن والنقاء وجمال الأصوات .
(٢) أى فى معجم مختار الصحاح .

عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له ادخل الجنة ، فيقول : أى رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له أترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب ، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزله، قال : أولئك الذين غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » .

قال ومصداقه من كتاب الله تعالى :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1] .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا وأى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل لكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

إخوانى : اتركوا الدنيا واكدحوا للآخرة وارفضوا حب نساء الدنيا واشتروا الحور الفاخرة فإنها تدرك بأيسر الأثمان وتكون معكم مخلدة فى الجنان .

وروى عن مالك بن دينار رضى الله عنه أنه كان يوماً ماشياً فى أزقة البصرة، فإذا هو بجارية[2] من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية : أيبيعك مولاك ؟ فقالت : كيف قلت يا شيخ ؟ قال : أيبيعك مولاك ؟ قالت : ولو باعنى أكان مثلك يشترينى قال : نعم وخيراً منك، فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها ، فحمل فدخلت إلى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه ، فأدخل ، فألقيت له الهيبة من قلب السيد ،

---

(١) سورة السجدة آية ١٧ .

(٢) جارية : أى فتاه .

قال : ما حاجتك ، فقال بعنى جاريتك ، قال : أوتطيق أداء ثمنها ؟ قال : ثمنها عندى نواتان[1] مسوستان فضحكوا ، قال وكيف كان ثمنها عندك هذا؟ قال : لكثرة عيوبها ، قال : وما عيوبها . قال : إن لم تتعطر دفرت[2] ، وإن لم تستك بخرت[3] ، وإن لم تتمشط وتدهن قملت وشعثت ، وإن تعمرت عن قليل هرمت ، ذات حيض وغائط وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار ، ولعلها أن لا تودك إلا لنفسها ، ولا تحبك إلا لتنعمها ، لا تفى بعهدك ، ولا تصدق فى ودك ، ولا يخلف عليها أحد بعدك إلا رأته مثلك ، وأنا آخذ بدون ما سألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور ومن المسك والجوهر والنور لو مزج ريقها أجاج البحر لطاب ، ولو دعى بكلامها ميت لأجاب ، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه وكسفت[4] ، ولو بدا فى الظلماء لأنارت به وأشرقت ، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت به وتزخرفت ، نشأت من بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان ، وقصرت فى خيام النعيم وغذيت بماء التنسيم ، لا تخلف عهدها ، ولا تبدل ودها فأيهما أحق برفع الثمن ؟ قال : التى وصفت ، قال فإنها الموجودة الثمن القريبة الخطب من كل زمن قال فما ثمنها رحمك الله؟ قال أيسر المبذول لنيل الخير المأمول أن تتفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن يوضع طعامك فتذكر جائعاً فتؤثره لله تعالى شهوتك وأن ترفع حجراً أو قذراً وأن تقطع أيامك بالبلغة[5] والقلة وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش الدنيا بعز القناعة وتأتى إلى موقف الكرامة آمناً غداً وتنزل الجنة دار النعيم فى جوار المولى الكريم مخلداً .

فقال يا جارية أسمعت ما قال شيخنا هذا ؟ قالت نعم قال أفصدق أم كذب قالت بل صدق وبر ونصح قال فأنت إذاً حرة لله تعالى ، وضيعة كذا وكذا

(١) نواتان : مثنى نواه وهو ما يوجد داخل التمر .
(٢) دفرت : أى خبثت رائحتها ونتنت .
(٣) بخر الفم : أى انتنت ريحه .
(٤) أى لاختفى نور الشمس بسبب نورها .
(٥) البلغة : أى القليل والحقير الدنىء من العيش وغيره .

صدقة عليك ، وأنتم أيها الخدم أحرار وضيعة كذا وكذا لكم ، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالى فى سبيل الله ، ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابها فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به فقالت الجارية لا عيش بعدك يا مولاى فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما وأخذ طريقاً غيره فتعبدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة .

رحمهما الله ورضى الله عنهما ونفعنا بهما وبسائر الصالحين ، اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل إلينا فتوحاتهم وأدم لنا بركاتهم وألحقنا بهم وأحشرنا فى زمرتهم واهدنا هداهم واسلكنا طريقهم آمين .

* * *

رؤية الله تبارك وتعالى فى الجنة

قال الله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾[١] .

وفى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢] .

قال العلماء الحسنى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى الكريم اللهم أرزقنا ذلك بفضلك .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه تعالىٰ غدوة وعشية ثم قرأ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٣] .

وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال : « نظر رسول الله إلى القمر ليلة البدر قال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غروبها ﴾[٤] وفى كتاب الترمذى عن

---

(١) سورة القيامة الآيات ٢٢ – ٢٥ .

قوله : ناضره : أى حسنة مشرقة متهللة

باسرة : أى شديدة الكلوحة والعبوس . فاقرة : أى داهية عظيمة تقصم فقار الظهر .

(٢) سورة يونس آية ٢٦ .

(٣) سورة القيامة ٢٢ : ٢٣ .

(١) سورة طه آيه ١٣٠ .

سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق ؟ قال نعم أخبرنى رسول الله ﷺ « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم يبرز لهم عرشه ويبتدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان المسك[1] والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً » .

قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال « نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ » قلنا لا ، قال « كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول أفلم تغفر لى فيقول فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ويقول ربنا : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فيأتون سوقاً قد حفت بهم الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيجمع لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً » .

قال « فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه وما فيهم دنىء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما رزقنا فنقول إنا جلسنا اليوم ربنا الجبار ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا .

قال بعض السادات رأيت غلاماً فى البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد قد انقطع عن العمارة والناس فسلمت عليه وقلت له يا فتى أنت منقطع بلا معين

---

(١) كثبان المسك : أى مرتفعات المسك والكافور .

ولا رفيق ، فقال بلى وعزته معى المعين و الرفيق ، فقلت فأين المعين والرفيق ؟ فقال هو فوقى بقدرته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعصمته ، قال فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له هل لك فى المرافقة فقال هيهات مرافقتك تشغلنى عن خدمته.وما أحب أن يكون هذا لى ولي ملك الدنيا من شرقها إلى غربها فقلت له أما تستوحش فى هذا المكان فقال لى يا هذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش ، فقلت من اين تأكل ؟ فقال يا هذا الذى غذانى برفقه فى ظلمة الأحشاء صغيراً تكفل بى كبيراً ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته وملأ قلبك بخشيته ولا جعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له يا أخى متى ألقاك فتبسم وقال أما بعد يومك هذا فلا تحدث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس فإن كنت ممن تلقانى فاطلبنى فى جملة الناظرين إلى الله فقلت له : ومن أين عرفت ذلك ؟ فقال به وعدنى ربى ، ذلك أنى غضضت طرفى عن النظر الى المحمات ومنعت نفسى من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات ، ثم غاب عنى فما رأيته .

اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الثلاث فنظفر بلقائك يوم الدين ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة إذا جاؤوها :

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1] .

وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم .

تم بحمد الله وتوفيقه .

---

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

الفهـــرس
